الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

قسم اللّغة والأدب العربي

التخصص: دراسات أدبية

القضية الفلسطينية في شعر توفيق زياد

قصيدة " السكر المر" أنموذجًا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الليسانس

إعداد الطالبتين:
خليدة نشادي.
أحلام بوشافع.

إشراف الدكتورة:
سامية عليوات.

السنة الجامعية

2019-2018

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى اليد الرفيقة التي تهدهد آلامي، وتكفكف دموعي وترسم الابتسامة على محياي. إلى النبع الذي لا ينضب من ارتوائي والقلب الذي لا يتعب من احتوائي .. أمي الحبيبة.

إلى نبض روحي وبلسم جروحي ومضيء صروحي، روح أبي الغالي.. رحمة الله عليك.

إلى سندي في الوجود إخوتي حكيمة، زهية، حبيبة، حورية، فايزة، منال، رابح، مراد.. وإلى أختي الغالية التي كانت لي سندا في إنجاز هذا البحث. فتيحة، وإلى كل أصدقائها.. إلى روح أختي الحبيبة رشيدة.

إلى أولاد أختي. ريان، ياسر، وليد، عبير، مرام، ريتاج، وإلى الكتكوت الصغير أنس.

إلى رفيقات العمر سليمة، أميرة، سهيلة، مريم، نجاة، إيمان، وإلى الأخت الرائعة أتقدم بجزيل الشكر.. ريم.

أهدي هذا العمل المتواضع، وإلى كافة عائلة نشادي.

خليدة

شكر وعرفان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه أجمعين.

بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكلّلت بإنجاز هذا البحث نحمد الله عزّوجل حمداً كثيراً طيباً على نعمه التي منّ بها علينا، فالفضل والمنّة لله عزّوجل وحده لا شريك له.

كما نتقدّم بالشكر الجزيل وتحية إجلال وتقدير إلى الدكتورة المشرفة: سامية عليوات، التي أخذت على عاتقها مسؤولية الإشراف وتأطير العمل وتوجيهها لنا من أجل إنجاز هذا البحث، كما نتقدم بالشكر لكل من أسهم في تقديم يد العون لإنجاز هذا البحث.

مقدمـــــة

تعتبر القضية الفلسطينية من اهم القضايا العربية التي لاتزال موجودة في وجدان الشعب العربي الإسلامي، بالرّغم من تصاعد المشكلات العربية وتأزّمها ، فقد بقيت أم القضايا العربية والجرح الذي ينزف حتى الآن، فالقضية الفلسطينية تشغل الساحة العربية والغربية منذ بدايتها، وهذا راجع للمواقف التي يقدمها شعبها، شعبٌ قدّم الغالي والنّفيس من أجلها، فهي الأرض والعرق رغم كل شيء ، من انكارٍ للماضي وتزييف للحاضر، ولا يُنسى أنّها ذلك الوطن الوحيد في العالم الذي لا يزال يقع تحت وطأة الاستعمار والاحتلال الإسرائيلي في زمن ادعى أنه زمن الحق والعدل ، فكيف لا تكون القضية المحورية وهي تمتلك أهمية عظيمة لدى الدّيانات السماوية الثلاث، مهد الأنبياء فلسطين، هي أقدس الأماكن عند المسلمين، ومن وراء هذه العظمة والقيمة صار الشّعراء العرب وأبنائها تحت نهج واحد، وهو الدّفاع عنها وتحريرها.

وفي بحثنا هذا سنقدم بزياد توفيق كنموذج للشاعر الفلسطيني الذي دافع عن وطنه، والذي خصصناه محور دراستنا، وذلك بسبب قلّة الدّراسات عنه وعن مؤلّفاته، وكذا اعتبار هذه القضية قضيتنا نحن العرب جميعًا، كما أنّ من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو أنّ القضيّة الفلسطينية كانت ولا تزال محط أعين العالم بأسره، ومن وراء كل هذا نقع أما الإشكالية التاليّة:

- ما هو موقف الشاعر توفيق زياد من القضية الفلسطينية؟
- وكيف عبرّ عن موقفه من خلال قصيدته " السّكر المرّ"؟

وللإجابة عن هذا التساؤل اعتمدنا على المنهج التاريخي، الذي رأيناه الأقرب والأنسب لمعالجة مختلف محطّات البحث. وعلى خطّة بحث تكوّنت من مقدّمة، وهي عبارة عن استهلال، ثم قسّمنا بحثنا إلى فصلين: الأول عنون بالقضية الفلسطينية وقسّمناه إلى عنصرين الأول: تعريف بالقضية الفلسطينية، والثاني: موقف الشّعراء العرب من القضية الفلسطينية، وهي دراسة نظرية، أمّا الفصل الثاني عنون ب: توفيق زياد والقضية الفلسطينية، تناولنا فيه موقف توفيق زياد من القضية الفلسطينية، وتجلّياتها في قصيدة السّكر المر، وهو عبارة عن دراسة تطبيقية، ثم ختمنا بحثنا بملحق وهو عبارة عن تعريف بالشاعر، وأهم أعماله.

ولقد اعتمدنا في انجازنا للبحث عدّة مصادر ومراجع، أهمّها القرآن الكريم، وديوان توفيق زياد.

أمّا بالنّسبة للصعوبات نذكر منها: الحراك الشعبي الذي عسّر من إنجاز هذا العمل. لكن رغبتنا وحبّنا لهذا الموضوع جعلتنا نتغلّب وبإصرار عليها، وذلك بفضل الله عزّوجل وتوفيقه أوّلاً، ثم مساعدة وتوجيهات الأستاذة المشرفة سامية عليوات، حيث حاولنا قدر المستطاع الالمام بجميع عناصر البحث.

الفصل الأول

خريطة فلسطين

تعدّ القضية الفلسطينية من أبرز القضايا التي شغلت العالم العربي والإسلامي والعالم ككل، كما أنّها لاقت اهتماماً كبيراً من طرف الأدباء والشّعراء، ولاسيّما شعبها، وسنعرض فيما يلي جلّ الأمور المتعلّقة بالقضيّة:

1- التّعريف بالقضية الفلسطينية

1-1 الموقع الجغرافي لفلسطين:

يطلق اسم فلسطين على «القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشّام، وهي الأرض الواقعة غربي آسيا، على الساحل الشّرقي للبحر المتوسط، ولفلسطين موقعاً استراتيجياً إذ تعد صلة الوصل بين قارّتي آسيا وافريقيا، ونقطة التقاء بجناحي العالم الإسلامي»[1] ففلسطين تتمتّع بموقع مغري وجاذب للنّظر ووقوعها في قارّة آسيا جعلها تكون عرضةً للاحتلال.

واسم فلسطين، هو «اسم مشتق من اسم أقوام بحرية، لعلّها جاءت من غرب آسيا الصّغرى، ومناطق بحر إيجه حوالي القرن الثاني عشر ق م، وورد اسمها في النّقوش المصرية، وأقدم اسم لهذه الأرض هو أرض كنعان، كما أن فلسطين تتمتع بمناخ معتدل هو مناخ بحر الأبيض المتوسط، يساعد على الاستقرار والإنتاج،

[1] محسن محمد صالح، فلسطين، سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1، ماليزيا، 2002، ص10.

مساحتها 27009كلم²»[1]. ومن هنا يتّضح لنا أنّ الاسم القديم للدّولة العربية فلسطين، هو أرض كنعان، تتميّز بجو ملائم للحياة المعيشية من عمل وإقامة.

1-2 فلسطين عبر التاريخ:

تشير الآثار «أن الإنسان سكن فلسطين منذ العصر الحجري القديم حوالي 500 ألف – 14 ألف ق م، كما يشير العصر الحجري الوسيط 14 ألف،18ألف، إلى وجود أشكال الحياة الحضارية، تمتد بما يعرف بالحضارة النطوفية، إذ قدم الكنعانيين من جزيرة العرب نحو2500 كلم²، وأصبحوا السّكان الأصليين للبلاد، أنشؤا فيها مدن وقرى، مثل بئر السبع»[2].

1-3 المكانة الدّينية لفلسطين:

تعتبر فلسطين «موطن الرّسالات السّماوية الثلاث، حيث توجّه إليها إبراهيم عليه السلام بالهجرة، ثم قصدها موسى عليه السلام في رحلة تاريخية ببني إسرائيل وعاش على أرضها بعض الأنبياء مثل: داوود، سليمان، زكريا، يحيى، وهي مهد

[1] محسن محمد صالح، فلسطين، سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص10.

[2] محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية، خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستثمارات، طبعة مزيدة ومنقحة، لبنان،2012، ص13.

عيسى عليه السلام، ثم إليها أسريّ بخاتم الأنبياء محمد ﷺ»[1]. ومن هنا كان لفلسطين مكانة كبيرة في قلوب المسلمين والعرب، وبسببها ولمكانتها دارت حروب دينية عليها، مثل الحروب الصليبية.

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

ومن هنا تتأكد مقولة أكذوبة الحق الديني والتاريخي والسياسي اليهودي في فلسطين من خلال هذه الآية.

1-4 القضية الفلسطينية:

ليست القضية الفلسطينية ملك الشعب الفلسطيني وحده، وإنما كانت ومنذ البداية ملك العرب جميعًا فهي جوهر القضايا العربية وقضايا التّحرر، والقضية الفلسطينية تلخص في عبارة «فلسطين أرض بلا شعب، لشعبٍ بلا أرض»[3].بدأت القضية الفلسطينية بانتشار الحركة الصهيونية بين اليهود في أواخر القرن التاسع عشر،

[1] وليد حسن المدلل، عدنان عبد الرحمان أبو عامر، دراسات في القضية الفلسطينية، جامعة الأمة للتعليم المفتوح، ط1، فلسطين، 2013، ص30

[2] سورة الأعراف، الآية 166-167.

[3] نبيل محمود السهلي، فلسطين أرض وشعب منذ مؤتمر بال وحتى 2002، موقع فلسطين، ص5.

وهي حركة عالمية عنصرية، كانت أوروبا الغربية أساسًا في ظهورها، وسببًا في تكوينها، كما كانت أوروبا الشرقية مركز نموِّها.

وفي أواخر القرن التاسع عشر تآمر بعض اليهود على أنظمة الحكم في أوروبا وروسيا، فعوقب المتآمرون على جرائمهم وفرضوا عليهم الرّقابة للحدّ من ممارساتهم العدوانية، بل شجّعوهم على الهجرة نحو أمريكا والبلاد العربية وفلسطين، «إذ تبلورت هذه الأفكار لدى اليهود فتطلّعوا إلى إقامة الحركة الصهيونية بهدف حشد اليهود في العالم بشتى الوسائل، وتوطينهم في فلسطين، وقد اختاروا فلسطين باعتبارها المكان الذي نزلت فيه كل الدّيانات السماوية، ولكن لم تكن لهم القوة في السيطرة عليها، لذلك اتصلوا بالقوى الكبرى التي قامت بجمع اليهود في مؤتمر بال بسويسرا عام 1897 حيث أعلنت أنّ هدفها هو إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين»[1].

وقد وقعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني عام 1917. «لمّا توعّد وزير بريطانيا جيمس بلفور ضمن وعد بلفور2 نوفمبر 1917 الذي أعطى استراتيجية من أجل تنفيذ هذا المشروع وفق عنصرين أساسيين هما:

[1] عبد الفتاح محمد العويسي، جذور القضية الفلسطينية 1799–1923، دار الخلدونية، ط منقحة، الجزائر،2013، ص118.

- تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنحهم امتيازات خاصة في ميدان الصناعة والتّجارة والزراعة، كما فتحت بريطانيا أبواب الهجرة عام 1920 بطرق شرعية وغير شرعية من جميع أنحاء العالم.
- مصادرة الأراضي الفلسطينية، فبعدما ازدادت الهجرة ازدادت مساحة الأراضي التي يمتلكها اليهود، فقد أصدرت الحكومة البريطانية تشريعات مجحفة دفعت بالمالكيين إلى بيع أراضيهم لليهود بأثمان رخيصة رغماً عنهم»[1].

وفي عام 1920 وصل عدد المهاجرين اليهود إلى 25000 يهودي، وذلك راجع إلى ظروف الحرب العالمية الأولى، وازدادت خلال الحرب العالمية الثانية لتصل إلى 500000مهاجر.

وقد عيّنت بريطانيا **هربرت صامويل** مندوباً سامياً في فلسطين الذي شرع في تهويد فلسطين في مختلف المجالات الإدارية الاقتصادية الثقافية، كما جعل اللّغة العبرية في فلسطين لغة رسمية إلى جانب اللّغة العربية والإنجليزية[2]. هكذا كانت الطرق الإسرائيلية من أجل السيطرة والاستحواذ كلّيًا على فلسطين.

[1] إيميل توما، جذور القضية الفلسطينية، إصدار المكتبة الشعبية في الناصرة، د ط، ص80-83.

[2] ينظر: محسن محمد صالح، سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص100.

2- موقف الشّعراء العرب من القضية الفلسطينية:

قد كان للقضية الفلسطينية حيزاً كبيراً ضمن اهتمامات الشعراء العرب، حيث أنهم ألّفوا الكثير من القصائد والدواوين حولها، وجسّدوا الصور التي رسموها عنها، باعتبارها القضية الأولى للأمة العربية، فكانت ولاتزال من أولويات مواضيع الشعر وفيما يلي سنعرض بعض الشعراء الذي أبدوا موقفهم اتجاه القضية الفلسطينية:

2-1 نزار القباني:

يعد الشاعر السوري نزار القباني من أبرز الشعراء المدافعين عن القضية الفلسطينية، لتملّكه حرارة حب الوطن والحنين والثورة على الظلم والاستبداد، إذ أصبحت القضية الفلسطينية هاجسه الأول والوحيد، وفيما يلي مجموعة منتقاة من أشعاره تبيّن ذلك:

«لن تجعلوا منّا شعباً

شعب هنود حمر

فنحن الباقون هنا

.....

هذه بلادنا

فيها وجدنا

منذ فجر العمر

فيها لعبنا، وعشقنا، وكتبنا الشّعر

ياآل إسرائيل.. لا يأخذكم الغرور

عقارب الساعة إن توقفت لابد أن تدور»[1].

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أنّ الشاعر متمسك ومتأكد انه في يوم من الأيام سيتحقق النّصر وستصبح فلسطين أرضاً حرة مستقلّة.

2-2 سميح القاسم:

يعتبر الشاعر الفلسطيني سميح القاسم من أبرز وأهم شعراء القضية الفلسطينية، حيث ارتبط اسمه بشعر الثورة والمقاومة، عبّر عن القضية الفلسطينية ودافع عنها من خلال أشعاره، فقلم سميح القاسم لم يزل يعلو ويعلو في سماء الكون ليصبح سلاحاً في وجه العدو الظالم، وليمضي رجلاً يحارب ويدافع ويثور، فما أحوجنا في هذا الزّمن إلى كلمات الرّجال وما أحوج قضيّتنا الفلسطينية إلى شعراء

[1] أوس داوود يعقوب، قضية فلسطين في أشعار نزار قباني، مجلة ديوان العرب، 1996-2019.

مثل سميح القاسم، إذ يعبر هذا الأخير عن حزن شديد وهمٍّ دفين، ووجه يبوح بالدّم في قصيدته " أشدّ من الماء حزنًا"، عن فلسطين فيقول:

«ولدت مهدك

مهد الدّيانات أرضك

مهدكِ لحدكِ

لكن سنمكث

في الأرض...تلفحكِ الرّيح طلقًا

على شجر الله... روحكِ يسكن طيرًا

يهاجر طيفًا ليرجع قبل الشتاء بموت جديد»[1].

نلاحظ أنّ سميح القاسم أكّد في أبياته هذه على مكانة فلسطين الدّينية، حيث أنه وصف قساوة العذاب والألم والموت الذي يتعرض له أهل فلسطين.

[1] عزام عبد الستار شعت، توجهات النخبة السياسية الفلسطينية، نحو الصراع العربي الإسرائيلي، مركز الزيتونة، د ط، لبنان، 2019، ص 200.

2-3 مفدي زكريا:

رافق الشعراء الجزائريين القضية الفلسطينية منذ احتلالها إلى يومنا هذا، ويعتبر الشاعر الجزائري مفدي زكريا أحد أهم المدافعين عنها، ويظهر ذلك في جل أعماله الشعرية وقصائده، ومنها قوله:

«وأذكر جرحـكِ في حـربنـــــا *** وفي ثورة المغرب القانيه
فلسطينُ..يامهبـط الأنـبـيـآ *** ويا قبلـة العـرب الثانـيـــه
ويـــــا حجّـة الله فـي أرضـــه *** ويا هبـة الأزل, الساميـــــه
فلسطيـنُ والعُـرب في سكـرة *** قد انحـدروا الكـل للهـاويـــــه
فلسطين ...في صلبنا لُحمـــةٌ *** جراحاتها, في الحشى ثاويـــه
عروبتنا في ضمير البقـــــــــآ *** وشائجُ، راسخةٌ، راسـيـــــــه»[1].

يؤكد مفدي زكريا أهمية ومكانة فلسطين بالنسبة للوطن العربي عامةً، والوطن المغربي والجزائر على وجه الخصوص، كما يشيد بدورها ومكانتها الدّينية.

[1] حمد الحجري، فلسطين على الصليب شاعر الثورة الجزائرية، مفدي زكريا، جريدة التحرير، 2014.

2-4 محمود درويش:

هو شاعر فلسطيني ولد عام 1941، في القرية الفلسطينية البروة شغل منصب رئيس رابطة الكُتّاب والصّحفيين الفلسطينيين، وحرّر مجلة الكرم، له عدّة دواوين من بينها ديوان محمود درويش، فمحمود درويش مثله مثل الشعراء العرب والفلسطينيين دافعوا وكتبوا عن القضية الفلسطينية، إذ نجده يقول فيها من خلال قصيدته، "ولنا بلاد"

«ولنا بلاد لا حدود لها، كفكرتنا عن المجهول ضيقة

وواسعة بلاد.....

... فنخرج في متاهتها، وما زلنا نحبّكِ، حبًّا مرضيًّا وراثيًا

...بلاد... حين تنبذنا إلى المجهول... تكبر

ويكبر الصفصاف والاوصاف»[1].

فالشاعر هنا يعبر عن شدّة حبّه وتعلّقه بوطنه فلسطين، واصفًا هذا الحب بالحب المرضي الوراثي الذي يؤخذ جيلاً عن جيلٍ دون انقطاع.

[1] محمود درويش، الأعمال الجديدة الكاملة، رياض الريس، ط1، الإسكندرية، 2009، ص45.

2-5 هارون هاشم الرشيد:

شاعر فلسطيني من مواليد مدينة غزة، حارة الزيتون، عام 1927، وهو من الشعراء الذين أُطلق عليهم شعراء النّكبة أو شعراء العودة، يمتاز شعره بروح التمرد والثورة، ويظهر هذا جليا من خلال دفاعه عن القضية الفلسطينية في شعره، فيقول في قصيدته" عربية ياقدس"

«يا قدس يا وطـــن النبييـــن الألى*** حملوا إلى الدنيـــا الضيـــاء وبشـــروا

يا ثالـــث الحرميـــن أول قبلـــة*** للمسلميـــن تـُرى تهـــون وتصغـُر

وإذا العروبـــة لملمـــت أذيالـــها وتقهقـــرت*** وهوى الشهـــاب المقمـــر

عربيـــة يا قدس أطلقـــها الألى*** حملـــوا الأمانـــة مخلصيـــن وكبـــروا

عربيـــة أرضـًــا.. سمـــاءً.. محتـــدا*** عمـــرا وتاريخا يضيء ويزهـــر

عربيـــة علمـــتنـــا أن الفـــدا*** درب إلى الحـــق السليـــب ومعبـــر

تبقيـــن مهما بقي الزمان عزيـــزة*** يا قدس مهمـــا حاولـــوا أو دبـــروا

لبيـــكِ يا قدس السلام ومرحبـــا*** بالعاديـــات وويـــل من لا ينفـــر»[1].

[1] منصور معاضة سعد العمري، الإرهاب الصهيوني في فلسطين، إشراف: يوسف بن علي رابع الثقفي، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2006، ص143.

فالشاعر هنا يصف مكانة القدس عند العرب سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين وأيضا يوضح مدى تقصير العرب في حقها، وأن القدس عربية منذ قديم الزمن حيث أن أول من سكنها هم العرب الكنعانيون على عكس ما يدعيه اليهود من أن القدس ليست عربية.

الفصـــل الثانـي

لعب الشاعر الفلسطيني توفيق زياد دوراً رياديًا في مسيرة النضال الوطني الفلسطيني، فهو شاعر مقاوم وملتزم، إذ تميّزت أشعاره على أنّها كانت تمثّل الكلمة- الفعل والفعل- كلمة، ومن هذا المنظور يتجسد لنا موقفه تجاه القضية الفلسطينية.

1- موقف توفيق زياد من القضية الفلسطينية:

يقول توفيق زياد في فلسطين:

«بأسناني

سَأَحْمِي كُلَّ شِبْرٍ مِنْ ثَرَى وَطَنِي

بِأَسْنَانِي .

وَلَنْ أَرْضَى بَدِيلاً عَنْهُ

لَوْ عُلِّقْتُ

مِنْ شِرْيَانِ شِرْيَانِي .

أَنَا بَاقٍ

أَسِيرَ مَحَبَّتِي .. لِسِياجِ دَارِي ،

لِلنَّدَى .. لِلزَنْبَقِ الحَانِي .

أَنَا بَاقٍ

وَلَنْ تَقْوَى عَلَيَّ

جَمِيعُ صُلْبَانِي

أَنَا بَاقٍ

لآخُذُكُم .. وآخُذُكُمْ.. وَآخُذُكُمْ

بِأَحْضَانِي

بِأَسْنَانِي ،

سَأَحْمِي كُلَّ شِبْرٍ مِنْ ثَرَى وَطَنِي

بِأَسْنَانِي »[1].

لا غرابة أن يبدو واضحًا موقف الشاعر الفلسطيني، اتجاه عروبته ووطنه وإصراره على الانتماء إليها والدفاع عنها، إذ أخذ الشاعر الفلسطيني على عاتقه مسؤولية وطنه المحتل، فكانت تسكنه روح التّحدي والمقاومة الثّائرة.

وقف شعراء الأرض المحتلة كما أشرنا سابقًا وقفة قومية وطنية ضدّ الاضطهاد ولعلّ الشاعر الفلسطيني توفيق زياد «من أبرز المدافعين والكُتّاب عنها ، إذ نجده في قصيدته "السكر المر" يقف شاهداً على اعتزاز الشاعر الفلسطيني بالهوّية الفلسطينية وفي مواجهة الصّليبية الإسرائيلية، التي تفوح بها إسرائيل أمام أعينهم

[1] سعدي أبو شاور، تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، المؤسسة العربية، ط1، عمان، 2003، ص 380.

دائماً فلا غرابة أن يتحدّث الشاعر توفيق زياد عن جميع فصول المأساة وجميع أسراره وكلّ قيمة سُلبت من أرضه وموقع قريته، وحدود بيوتها وأشجارها وزهورها البرّية، وأسماء أعدائه وسجونهم، وآلات التّعذيب لديهم، وكل ما تعرّض على جذع زيتونة في ساحة الدار، ليحافظ على وجه الفلسطيني الذي تريد إسرائيل إزالته»[1].

نلاحظ من خلال الأبيات السابقة أنّ توفيق زياد كان وفيًّا لوطنه وكان مواطناً مسؤولاً، أخذ على عاتقه مثل غيره من الشعراء الفلسطينيين سلاح القلم من أجل الثورة والتعبير والتّنديد بالاستعمار الصهيوني.

[1] سعدي أبو شاور، تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص400.

2- تجلّيات القضية الفلسطينية في قصيدة " السّكر المر":

الشعر كثيراً ما يعبر عن رؤية فنية، ارتبطت مع زمن فيه الكثير من الاختلاف عمّا يحرّره من سلطة الآخر، والشاعر ينقل تجربة كتابة يأمل أن تسعد المساكين حين يغمس ريشته في أعماق قلبه، لكي يصل كلامه إلى القلب، حيث أنه يريد دائماً أن يتقاسم أحزانه مع المساكين، فالحالة النفسية التي يعيشها الشاعر توفيق زياد من خلال قصيدته "السكر المر" تعبر عن ضياعه وغربته، جعلته يأمل أن يأكل حائط الفولاذ الذي يفصله عن مدينة القلب عن آلاف الحواجز، التي تفصله عن لقاء تاريخي مع أرضه.

2-1 القصيدة

«أَجِيبيني !!

أُنَادِي جُرْحَكِ المملوءَ مِلْحَاً يَا فِلَسْطِيني !

أُنَادِيهِ وَأَصْرُخُ :

ذَوِّبِيني فِيهِ .. صُبِّينِي

أَنَا ابْنُكِ ! خَلَّفَتْنِي هَا هُنَا المأْسَاةُ.

عُنْقَاً تَحْتَ سِكِّينِ.

أَعِيشُ عَلَى حَفِيفِ الشَّوْقِ.

في غَابَاتِ زَيْتُونِي .

وَأَكْتُبُ لِلصَّعَالِيكِ القَصَائِدَ سُكَّرَاً مُرَّاً.

وَأَكْتُبُ لِلْمَسَاكِينِ .

وَأَغْمِسُ رِيشَتِي، في قَلْبِ قَلْبِي.

في شَرَايِينِي .

وَآكُلُ حَائِطَ الفُولاذِ ..

أَشْرَبُ رِيحَ تَشْرِينِ .

وَأُدْمِي وَجْهَ مُغْتَصِبِي

بِشِعْرٍ كَالسَّكَاكِينِ .

وَإِنْ كَسَرَ الرَّدَى ظَهْرِي.

وَضَعْتُ مَكَانَهُ صُوَّانَةً.

مِنْ صَخْرِ حِطِّينِ !! ..

فِلِسْطِينِيَّةٌ شُبَّابَتِي.

عَبَّأْتُهَا .

أَنْفَاسِيَ الْخَضْرَا .

وَمَوَّالِي ،

عَمُودُ الخَيْمَةِ السَّوْدَاءِ.

في الصَّحْرَا .

وَضَجَّةُ دَبْكَتِي.

شَوْقُ التُرَابِ لأَهْلِه.

في الضِّفَّةِ الأُخْرَى»[1] .

2-2 شرح القصيدة:

تعكس القصيدة مأساة الشعب الفلسطيني وتنضح بالألم والوجع الذي يسببه هذا الاحتلال الغاشم، وتدميره وقتله لشعبٍ أعزل، وتشريدهم ليتركوا وطنهم ويهاجروا إلى دول أخرى، أو يعيشون في مخيّمات وملاجئ غير آمنة. إذ تبرز القصيدة مقاومة الشّعب الأبي، الذي رفض الاستسلام وقاوم بأسلحة بسيطة سلمية.

ففي قصيدة "السكر المر" لتوفيق زياد نقف عند عتبة العنوان عن شيء غير اعتيادي، السكر الذي إذا ما ذكر ارتبطت به الحلاوة تلقائيًا لكن لما أصبح اليوم السكر مرًا تبدأ القصيدة ببحث الشاعر عن إجابة عن وضع لا يزال يقلقه منذ أمد بعيد.

[1] توفيق زياد، ديوان، دار العودة، د ط، بيروت، 2000، ص134.

2-3 تجلّيات القضية في قصيدة " السّكر المر":

وقد تجلّت معالم القضية الفلسطينية في القصيدة، بشكل واضح وكبير، حيث اعتمد الشاعر توفيق زياد في كتابتها على نظام السّطر الشعري، وهي بذلك تنتمي للشّعر الحر، قصيدةً تتسم بالتركيز على المعنى من أجل تعويض الانعدام الوزني الذي نجده في القصائد التقليديّة، لكن ذلك لا يعني أنّها تخلو من الوزن تماماً، إذ نجد أنّ الشاعر قد اعتمد على الإيقاع الداخلي الذي يحدثه الطّباق، ويظهر ذلك من خلال عنوان القصيدة السكر‡ المر، أو في الاعمال اللّغوية المتمثّلة في الإنشاء الطّلبي كالأمر: أجيبيني، ذوّبيني، صبّيني ، أو أسلوب النّداء في قوله: أيا فلسطيني!.

ثم إنّ تواتر الأفعال المضارعة المسندة إلى ضمير المتكلّم المفرد والتي تعبّر عن أنا الشّاعر كقوله: أعيش، أكتب، أشرب، أغمي، أدني. تواتر هذه الأفعال في النّص يضفي جرساً موسيقيًّا مميّزًا.

كما يناجي الشاعر وطنه المسلوب مستعملا أسلوب التّشخيص، حيث يناديه الشّاعر مستعملاً أداة النّداء للقريب والبعيد "أيا" وينسبه إلى نفسه قائلاً "فلسطيني"، وطن أُخذ منه عنوةً وجرحه عميق وغائر ووجعه المضاعف، فهو مملوء مما يضاعف ألمه ووجعه، لكن الشاعر يناديه ويصرخ بأعلى صوته معلنُا عن تماهيه مع هذا الوطن المغدور، ويطلب أن ينصهر في جرحه ويذوب فيه، ويعلن تحدّيه

لمغتصبي وطنه مؤكّداً إرادته القومية وعزيمته الصّلبة، فمهما كانت الخطورة والمحن لن يستسلم بل سيقاوم بكل بسالة، سيقاوم بالكلمة، بشعره الذي هو سلاحه ضدّ هؤلاء المغتصبين الطغاة.

فالشاعر توفيق زياد يمتلك سلاحاً نفّاذاً لكنه سلمي وهو شعره الذي يشبهه بالسّكاكين، سيضع حجراً صلداً على جرحه ويقاوم. وهو من خلال ذلك يؤكّد على صبره وجلده وقوّة تحمّله وعدم استسلامه، كما يتمسّك بوطنه وخصوصيته وانتمائه ويعتز به، من خلال ذكر بعض التفاصيل مثل الدّبكة، الشّبابة، عمود الخيمة السوداء، صخر حطين.

خاتمـــــة

خاتمة

وفي ختام بحثنا هذا توصّلنا إلى عدّة نتائج نذكر منها:

- فلسطين دولة ذات منطقة استراتيجية، وأهم من ذلك موقعها ومكانتها الدّينية جعلتها عرضة للطمع والاستهداف الإسرائيلي.
- دافع الشعراء العرب عن القضية الفلسطينية، واعتبروا سلاح القلم وسيلة لذلك.
- توفيق زياد مناضل ومكافح ووطني بامتياز لقضية وطنه – القضية الفلسطينية–، وهذا يظهر جليًّا من خلال دراستنا له.
- قصيدة "السكر المر" من أهم ما كتب توفيق زياد، فهي تعبّر عن حبّه وجرحه وكفاحه عن القضية الفلسطينية.
- اعتمد الشاعر توفيق زياد على الإيقاع الداخلي في قصيدة "السكر المر" الذي أحدثه الطباق.
- كثرة الأفعال المضارعة داخل القصيدة خلق فيها حركية، واستمرارية، وبث فيها الروح.
- أسلوب توفيق زياد أسلوب بسيط ومميّز ومرن في إيصال الرسالة المراد تبليغها.

وفي الختام نرجو أن نكون قد وفقنا إلى حد ما في إنجاز بحثنا هذا.

مـــلحـــق

1- توفيق زيادة:

ولد توفيق زيادة «عام 7 مايو 1929 / 5 يوليو 1994، شاعر وكاتب وسياسي فلسطيني من مدينة الناصرة، ولد فيها وتعلم هناك، كان رئيس ببلديتها، فيما بعد انظمّ إلى الحزب الشيوعي والحركات الوطنية، عيّن عضو في الكنيست عام 1974، وعضوا في اللجنة القطرية لرؤساء المجالس العربية، في إسرائيل وعمل بالصحافة، وأصدر عدداً من الدّواوين[1].

2- أعماله:

أشد على أياديكم.

اغتيال النّوم.

كلمات مقاتلة.

تهليلية الموت والشهادة.

سجناء الحرية.

---

[1] ينظر: نزار أباضة، محمد رياض المالح، إتمام الاعلام ذيل للكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، دار صادر، ط1، بيروت، 1999، ص58.

وقصائد منوعة أخرى:

ادفنوا أمواتكم وانهضوا.

أم درمان المنجل والسيف والنغم.

شيوعيون.

أغنيات الثورة والغضب.

عمان في أيلول.

ديوان توفيق زياد.

الادب والادب الشعري.

فلسطين نصراوي في ساحة الحمراء.

حال الدنيا.

صور من الأدب الشعبي الفلسطيني.

فتوفيق زياد هو من أصل فلسطيني، ابن الأرض المحتلّة، جل كتاباته من أجلها، من أجل وطنه.

قائمـــة

المصـــادر والمراجـــع

قـــائمـــة المصـــادر والمراجـــع

المصـــادر:

القرآن الكريم.

1- توفيق زياد، ديوان، دار العودة، د ط، بيروت.

المراجـــع:

1- إيميل توما، جذور القضية الفلسطينية، إصدار المكتبة الشعبية في الناصرة، د ط.

2- محسن محمد صالح، فلسطين، سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1، ماليزيا، 2002.

3- محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية، خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستثمارات، طبعة مزيدة ومنقحة، لبنان،2012.

4- محمود درويش، الأعمال الجديدة الكاملة، رياض الريس، ط1، الإسكندرية، 2009.

5- نزار أباضة، محمد رياض المالح، كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، دار صادر، ط1، بيروت، 1999، ص58.

6- سعدي أبو شاور، تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، المؤسسة العربية، ط1، عمان، 2003.

7- عبد الفتاح محمد العويسي، جذور القضية الفلسطينية 1799-1923، دار الخلدونية، ط منقحة، الجزائر،2013.

8- عزام عبد الستار شعت، توجهات النخبة السياسية الفلسطينية، نحو الصراع العربي الإسرائيلي، مركز الزيتونة، د ط، لبنان، 2019.

9- وليد حسن المدلل، عدنان عبد الرحمان أبو عامر، دراسات في القضية الفلسطينية، جامعة الأمة للتعليم المفتوح، ط1، فلسطين، 2013.

المجلات:

1- أوس داوود يعقوب، قضية فلسطين في أشعار نزار قباني، مجلة ديوان العرب، 1996-2019.

2- حمد الحجري، فلسطين على الصليب شاعر الثورة الجزائرية، مفدي زكريا، جريدة التحرير، 2014

3- نبيل محمود السهلي، فلسطين أرض وشعب منذ مؤتمر بال وحتى 2002، موقع فلسطين.

.

مذكرات التّخرج:

1- منصور معاضة سعد العمري، الإرهاب الصهيوني في فلسطين، إشراف: يوسف بن علي رابع الثقفي، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،2006.

الفهـــرس

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: القضية الفلسطينية..... 4

1- التّعريف بالقضية الفلسطينية..... 5

1-1 الموقع الجغرافي لفلسطين..... 5

1-2 فلسطين عبر التاريخ..... 6

1-3 المكانة الدّينية لفلسطين..... 6

1-4 القضية الفلسطينية..... 7

2- موقف الشّعراء العرب من القضية الفلسطينية..... 10

2-1 نزار القباني..... 10

2-2 سميح القاسم..... 11

2-3 مفدي زكريا..... 13

2-4 محمود درويش..... 14

2-5 هارون هاشم الرشيد..... 15

الفصل الثاني: توفيق زياد والقضية الفلسطينية..... 18

1- موقف توفيق زياد من القضية الفلسطينية..... 18

2- تجلّيات القضية الفلسطينية في قصيدة " السّكر المر"..... 21

2-1 القصيدة..... 21

2-2 شرح القصيدة..... 23

2-3 تجلّيات القضية في قصيدة " السّكر المر"..... 24

خاتمة..... 27

ملحق..... 29

1- توفيق زياد..... 29

2- أعماله..... 29

قائمة المصادر والمراجع..... 32

الفهرس..... 35